

هذا الكتاب حصيلة بحث أعده جناب السيد عباس نور الدين مستفيداً ومستلهماً من كلمات وتوجيهات سماحة الإمام القائد الخامنئي (دام ظله)، والتي صدرت في المرحلة الأولى لانتصار الثورة الإسلامية وخصوصاً عندما كان رئيساً للجمهورية الإسلامية في إيران، وفي المرحلة الثانية عند تصديهِ لولاية أمر المسلمين.

إن معظم هذه الكلمات مأخوذ من خطبه التي ألقاها في اللقاءات العديدة مع مدراء وأساتذة الجامعات وطلابها. وقد جُمعت ضمن بحث تفصيلي تحت عنوان "الجامعة والجامعي" (دانشگاه ودانشجو) باللغة الفارسية. وأعدّه مكتب سماحة الإمام القائد ونشر عام 1998م ضمن سلسلة الأبحاث الموضوعية التي يصدرها هذا المكتب.

وقد أشار جناب المؤلف إلى تواريخ هذه النصوص التي أخذها من الكتاب المذكور. حتى يتسنى لمن يريد المزيد من الاستفادة والرجوع إلى النصوص الكاملة الحصول عليها من خلال معرفة تواريخها.

ولعله يصدر في الفترة اللاحقة المجموعة الكاملة لخطب وبيانات الإمام القائد التي بدأ العمل عليها وقد صدر منها 7 أجزاء لحد الآن.

الناشر

تنطلق هذه الدراسة من ملاحظة عن قرب لواقع العمل الإسلامي في جامعاتنا، والتي استمرت منذ أيام الدراسة الجامعية قبل أكثر من ثلاثة عشر سنة، وتراكت معطياتها بمرور السنوات التي جمعتني بشرائح واسعة من طلاب الجامعات عبر اللقاءات العلمية والمحاضرات الفكرية أو الصداقة القريبة لعدد كبير منهم ممن أضحي اليوم عاملاً في الساحة الكبيرة للحياة.

وإذا أردنا أن نقتصر في دراستنا هذه على المشاكل والهموم والنقائص التي تعاني منها الساحة الجامعية، فإن المسألة الأولى التي تبرز على هذا الصعيد هي أن العمل الجامعي ما زال يعيش الكثير

من التردد، ويعاني من انحسارات شبه دائمة تشبه المد والجزر على مستوى الحركة والإنجازات. هذا، بالرغم من أن ساحة الجامعة تنطوي على خيرة الشباب من حيث الإيمان والاندفاع والتضحية.

لم تشهد حركة العمل الجامعي مسيرة تكاملية تليق بها، أو تواكب شيئاً ما الإنجازات الكبيرة في الميادين الأخرى. بل كانت دوماً أقرب إلى التأثير منها إلى التأثير. كما أن الإنجازات اللاحقة التي تتحقق فيها من حين إلى آخر لا تضاف إلى سابقتها بحيث تتحول إلى تجربة متراكمة تغتني مع مرور الزمن لتتبلور في النهاية بصورة مؤسسة راسخة الجذور وارفة الأغصان.

ولا شك أن لبعض العوامل الموضوعية دخلاً في الأمر، إلا أننا لا نتحدث هنا عن تجربة الأشخاص أو إنجازات الأفراد، بل الطموح ناظر إلى تشكيل ما يشبه المؤسسة التي تجمع التجارب من جهة، وتراكمه بطريقة تتحول مع الزمان إلى مشروع تُستلهم منه الأساليب الحكيمة والمناهج العملية المناسبة، ويرفد الأمة بالطاقات الفاعلة القوية على طريق تغيير المجتمع ونظامه الاجتماعي.

إننا لن نجد ساحة كالساحة الجامعية بكل تفاصيلها من حيث الإمكانيات والطاقات الكامنة والأرضية الخصبة للاستقطاب والعطاء والامتداد والتغيير.

فإذا كانت الأرضية خصبة والموارد متاحة، فلماذا لا تكون النتائج متناسبة مع الامكانيات؟!

ولماذا لم تتحول الجامعة إلى لعب دور يتناسب مع الدور الكبير للمقاومة؟

مشكلتنا في بعض الأحيان هي أننا لم ندرك حجم الدور الذي يمكن أن تؤديه الجامعة على مسرح حياة المجتمع. ولهذا قد نجد في الأسئلة المتقدمة نوعاً من المبالغة. ولكننا عندما نرجع إلى كلمات الإمام الخميني "قدس سره" وسماحة الإمام القائد "دام ظله" نكتشف إن للجامعة دوراً خطيراً في رسم مصير البلد بأسره.

ولقد كان هذا الدور المصري موجوداً دائماً. إلا أنه في بلادنا كان مصيراً ضبابياً سطحياً طائفاً. فالجامعة أقيمت لتكريس العقلية الطائفية والسياسة السياحية والخدماتية وقتل الروح الإبداعية في

وطننا، وقد أنجزت المهمة بحجم كبير. ولهذا لم يعد للجامعة في مخيّلتنا أية صورة مشرقة أو موقعية أساسية.

إن الجامعة التي تكون تابعة لحكام يعيشون الطائفية في كل ممارساتهم وسياساتهم، هي جامعة ميؤوس منها لصناعة غد عزيز.

وإن الجامعة التي تهيمن عليها مجموعة من الأساتذة الذين وصلوا إلى مواقعهم من خلال المحاباة الطائفية. لن يتمكنوا من التخطيط لدور تطويري تكاملي لمجتمعهم. هي جامعة تبعث على اليأس والملل وقتل الإبداع.

فالجامعة هي التي تُناقش فيها هموم البلاد وقضايا المجتمع الأساسية وتطرح الحلول والمشاريع الإنقاذية، وتقدم الدراسات العميقة والميدانية التي تضع الأصابع على الجروح، فتنور المجتمع، وتجعل أبنائه متحسين لمصيره ومستقبله.

ولو وجّهت الطاقات الجامعية نحو الدراسات والأبحاث التي تفيد المجتمع وتتناول شؤونه الأساسية لتشكّلت عبر السنوات طبقة واسعة من الذين يدركون واقعه ويعملون على تغيير نظامه السياسي. الاجتماعي المختلف.

ولكن كيف يجرؤ الأستاذ المشرف على الدراسات والأبحاث على توجيه طلابه نحو النتائج التي تفضح أولياء نعمته ومن كانوا سبباً في تعيينه في منصبه.

وهكذا تتشكل الفئات الجامعية وهي منحرفة عن المسائل الإسلامية غير مبالية بمصير المجتمع، لتتحول إلى عقلية سائدة تضيي على الجامعة لونها القاتم ودورها الضبابي.

فالجامعة تشبه الساقية التي يكمن أن تكون مندفعة في قلب الصحراء والبوادي الجرداء، فلا ينتفع منها أحد. وقد تسيل على أرض مزروعة فتخربها. ولكنها إذا اتصلت بمشروع الإصلاح، فإنها تصبح نهراً عظيماً يحيي أرضاً بأكملها.

إن ما نحتاجه . والحال هذه . هو المشروع الذي يمكن أن يستنقذ الجامعة من المشكلات الكبرى التي وقعت فيها . وفي المراحل الأولى نحتاج من المشروع إلى ما يعطي العمل الإسلامي في الجامعة صفة الحركة التكاملية الهادفة التي تستطيع أن نستنقذ ما يمكن إنقاذه من الطلاب الجامعيين الذين يدخلون إلى الجامعة وهم في مرحلة العطاء الأفضل . وعملية الإنقاذ . إذاً صح التعبير . لا تنحصر في إطار الحد من تأثير الفساد الأخلاقي المستشري في الجامعة والمجتمع ، بل تمتد لتشمل الأبعاد العلمية والثقافية والسياسية والعملية .

إن مثل هذا المشروع ، حتى يكتب له النجاح والاستمرارية ، ينبغي أن يتشكل من عناصر فكرية أساسية . وبعبارة أخرى ، يحتاج إلى رؤية شاملة للقضايا الجوهرية ، وامتلاك الأجوبة الواضحة ، العميقة ، المنسجمة فيما بينها ، عن الأسئلة المصرية المتعلقة بالجامعة والحياة .

ولا شك بأن ما نبحت عنه موجود في الإسلام الذي جاء لهداية الناس في كل مجالات الحياة وشؤونها . إلا أن هذا الدين الذين حُفظ في النصوص الشريفة (القرآن ، والسنة المترجمة في الأحاديث) ، تعرّض لعمليات تفسيرية مختلفة . أصيب بعضها بالانحراف ، أو النقص والرؤية المبتورة التي لم تر فيه سوى المجالات الضيقة أو الفردية . إلى أن جاء ذلك العالم الرباني والعارف الفقيه الأوحدي ، وقدم لنا الرؤية الأصلية للإسلام المحمدي في مشروع النهضة الكبرى ، والإصلاح الاجتماعي الشامل .

ولأول مرة يتعرف الناس إلى الإسلام بصورته الكلية الشاملة العميقة المتصلة بالحياة ومصير المجتمع ونظامه السياسي . ويرون فيه الإحياء الذي روحه : {يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} ، فيجري الدين في عروق وشرايين المجتمع .

وقد عرفت هذه الرؤية الشاملة الحيّة المتحركة التي أسسها الإمام الخميني "قدس سره" "بنهج الإمام" . واجتمعت عناصره القوية المؤثرة حول محور ولاية الفقيه ، أو حاكمية وقيادة الفقيه الجامع للشرائط . وهكذا ، لم يتوقف النهج عند حدود تقديم النظرية والتفسيرات العملية ، بل أنزل كل ذلك إلى متن

الحياة من خلال مشروع إحيائي في كل المجالات. وكانت الجامعة في صلب هذا المشروع، لما تمثل من دور مصيري واستراتيجي.

حظيت الجامعة بنصيب وافر من التوجيهات والإرشادات، يمكن أن تشكل بمجموعها ذلك المشروع الذي نبحث عنه بمراحله المختلفة. وليس علينا إلا أن نرجع إلى من مثّل ويمثّل هذا النهج الأصيل، وندرس كلماته ونتباحث فيها لتعرف على الأدوية لكل مشاكلنا وقضايانا.

وخلاصة الكلام أن ما نحتاج إليه بالنسبة للعمل الجامعي أمور أساسية هي:

1. إن ندرك عمق دور الجامعة المصيري.

2. أن ندرك طبيعة المشكلات التي تعاني منها الساحة الجامعية.

3. أن نبحث عن المشروع الكلي لحل هذه المشكلات.

وبهذه الطريقة، نصبح مستعدين جيداً للاستفادة العميقة والمطلوبة من نهج الإمام الخميني الذي يحرسه ويتابعه سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله).

يقول سماحته:

"إن خط الثورة هو خط الإمام الذي هو خط الإسلام النقي الأصيل وخط القرآن الذي ينبغي مواصلته والالتزام به بشكل تام" (نهج الإمام في بيان القائد - ص 77).

"إن التطلعات التي أعلنها الإمام هي أسمى التطلعات وأعلاها وأقدسها وأنا سنواصل السعي الحثيث لبلوغها، فهي تطلعاتنا أيضاً" (ن.م. ص 78).

"... إن عصر الإمام الخميني مستمر وخالد، وسيبقى مستمراً دوماً، فنهجه نهجنا، وهدفه هدفنا، وإرشاداته المشعل الوضاء الذي ينير لنا السبيل" (ن.م. ص 94).

افتقدت ساحتنا، ومنذ انبعاث نور الخميني المقدس فيها، إلى دراسات منهجية تعني بهذا المجال الحساس، وتبحث حول المنهج الكلي الذي يُستنبط من كلمات وتوجيهات الولي ومشروعه الاستنهاضي. ولهذا السبب، ظلت أسيرة للكثيرة من التفسيرات الخاصة، أو بقيت ترتوي من منابع مختلفة. وأدى ذلك إلى عدم تبلور المشروع الشمولي في الجامعة وغيرها من الساحات والميادين.

ولا شك بان هناك من يوافق ويؤيد هذا الكلام تأييداً تاماً. كما إن هناك من يرفضه ويعترض عليه. لسنا هنا في صدد تقسيم المهتمين بهذا الشأن إلى متفائلين ومتشائمين، ولا إلى يسار ويمين. ولكن لكل شواهد المنطقية التي تنطلق من رؤيته لدور الجامعة وموقعيتها في المجتمع.

المتفائلون يعتبرون أن العمل الجامعي قد خطا خطوات أساسية، لأنه ينطلق من الارتباط الواضح بالولاية. وهذا أهم ما يمكن أن يتحقق في ساحة تكون عرضة للتجاذبات الفكرية والسياسية الواسعة. أي أن العرش قد شيد، وبقي النقش.

والمتشائمون يرون هذا الارتباط أمراً عادياً لأنه تحقق من واقع خارج الجامعة. وهو يمارس من جهة الأفراد الذين هم أبناء مجتمع الولاية. أما على مستوى العمل الجامعي، فلم تشكل الهوية والشخصية الذاتية له. وإن ما يحدث فيه هو مجرد أنشطة، تقوم بها مجموعة من الشباب المنسجمين فكرياً وسياسياً. وإن هذه الأنشطة. في معظم الأحيان. لا تمت إلى الساحة الجامعية بما هي جامعية بصلة. فالجامعة مكان العلم والبحث والاستفادة من المعارف والدراسات، وهي المكان الذي ينبغي أن يخرج المهارات التي تصب في الحاجات الأساسية للمجتمع. والعلم الجامعي ينبغي أن يتركز على دراسة حاجات المجتمع وتوجيه الطلاب للاستفادة القصوى من الجامعة من أجل سد هذه الحاجات. وليست الجامعة مكاناً لإقامة الأدعية والمهرجانات والانتخابات فحسب.

ويعكس هذا النقاش الباطني، الذي لا يدور بشكل علني وفني مكانه الطبيعي، حجم الافتقار إلى ما أطلقناه عليه: المشروع الكلي للعمل الجامعي الذي ينطلق من خط الولاية ونهج الإمام.

ولعلنا نجد نقطة يمكن البدء منها، وهي تختصر مسافات طويلة ونقاشات صعبة ومعقدة، هي تثبيت موقعية ودور الولي في العمل الإسلامي.

فأول عمل ينبغي أن نقوم به على هذا الطريق هو ترسيخ مبدأ ولاية الفقيه في العلم الجامعي. بحيث يصبح الولي هو المرجع للقضايا والملهم للتحركات والموجه للمشاريع. بل يمكن القول أن المشروع الأول الذي ينبغي العمل عليه هو تعميق الارتباط بالولي، ليكون محور الحركة الاجتماعية والفردية في الحياة.

ولنتوقع من الجهلة والمغرضين أن لا يفهموا من مثل هذا الكلام إلا أنه دعوة لتعطيل العقل والإبداع وكبت الحريات. فهؤلاء لا يفهمون من ولاية الفقيه سوى ما كتبه بعض الصحفيين الذين خلطوا بين مبدأ الطاعة المطلقة للولي والسعي الحثيث لبلوغ الكمال في ظل الحرية.

فالارتباط بالولي الفقيه هو السير الواقعي والقوي نحو الكمال والمجد والعزة والحرية التي ينشدها الإنسان. لأن المشروع الأول لهذا الفقيه القائد هو تحرير الناس من العبودية والتبعية للطواغيت والشهوات. وهو يعلم جيداً أن تحقق الأهداف العظيمة للإسلام لا يمكن في ظل هذه العبودية والرق. وما أروع وصف القرآن الكريم لحركة النبي الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم": {.. ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم}.

إن الاعتقاد بهذه الرابطة هو نفس الاعتقاد بالحرية والإبداع والتكامل. وهذا الارتباط هدفه لتأمين الأجواء والظروف التي تخرج القابليات الكامنة إلى الفعلية والتحقيق.

وتصوروا فئتين جامعتين: فئة تجتمع لتباحث فيما بينها في القضايا التي تحيط بها والتي تهمها، وفئة أخرى تجتمع لتباحث في تحقيق أفضل السبل للارتباط بالولي الفقيه القائد العام الخبير والاهتداء بهدية في القضايا التي تهمها.

الأولى: خبرتها وعلمها ونظراتها محدودة بها. كما أن تلمسها للقضايا والحاجات ينطلق من تجربتها المحدودة. والأبرز أن طرحها للحلول ينبع من عملها هي.

والثانية: ارتبطت بالقائد الذي له الباع الطويل والخبرة الواسعة بقضايا المجتمع وشؤونه ومستقبله وحاجاته والمخاطر المحيطة به. كما إنها تستلهم من العالم الفقيه الحلول وتأخذ منه الموقف العلمي، وهو يمثل الشريعة الإلهية.

فالارتباط بالولي يعني الاهتداء والنورانية والبصيرة والوعي وفتح الأبواب وشق الطرقات وإزالة الموانع وتفعيل الطاقات وتأجيج القابليات وتكبير الهموم ورفع الهمم وإحياء العقول ووحدة الصفوف ومنع الاختلافات والنزاعات ...

ولا شك إن هناك مراتب للارتباط. أدناها أن يرجع المتخاصمون إلى الولي عند تنازعهم واختلافهم حول قضية ما. وأعلىها أن يذوب الجميع في فكره ومشروعه الذي هو الإسلام وبرامجه وأهدافه.

وعلى العاملين في ساحة الجهاد الجامعي أن يأخذوا بعين الاعتبار هذا التدرج، ويعملوا عليه من خلال الفكر والثقافة والتعلم. فالواجب علينا أن نخرج الطاقات الفاعلة والولائية أيضاً.

علاقة الجامعة بالدين تظهر من خلال المناهج التعليمية والأجواء أو المحيط الجامعي الذي يتشكل من الإدارة والهيئات التعليمية. ومن المعروف إن الدراسات الجامعية . عموماً . أسست في أجواء العلمانية في الغرب ورسخت مبدأ الفصل بين العلم والدين المسيحي. ثم نقلت التجربة الجامعية (أو ما عرف بالدراسة الأكاديمية) إلى بلادنا الإسلامية التي كانت متخلفة على الصعيد العالمي إلى الدرجة التي اضطر معها أن تلتزم حتى بالمناهج السابقة للمرحلة الجامعية وهي المناهج المدرسية.

وبالطبع، كان للأوضاع السائدة في المجتمع الإسلامي كبير الأثر في قبول هذا الفصل، الذي انتهى إلى تبعية للغرب، ونشوء التيارات الفكرية المعادية للدين، وسوء الظن بالدين وعلماء الدين. وكما حدث في الغرب على مستوى رفض إدخال التصورات الدينية في الأبحاث العلمية تحت حجة الموضوعية والمناهج الحسية، فإن ما حدث في عالمنا الإسلامي بالإضافة إلى ذلك، اعتبار العلم بمعناه الشائع أمراً مغايراً للدين. وإذا كان البحث العلمي في المسائل الطبيعية (عالم الطبيعة) بعيداً عن التصورات الدينية أمراً يمكن تجاوزه، إلا إن البحث في المسائل المتعلقة بالإنسان والمجتمع (العلوم الإنسانية) له صلة وثيقة بالدين الإسلامي وتعاليمه. وقد تعرضنا لهذه العلاقة بين العلوم في كتاب "طريقك إلى دراسة العلوم الإسلامية" ولمزيد من الإطلاع على هذه القضية يمكن مراجعة الكتاب المذكور.

وعلى أية حال، ينبغي للطالب الجامعي أولاً أن يتعرف بدقة إلى العلاقة بين العلوم المختلفة (الطبيعية، الإنسانية، الإسلامية) لكي لا يقع في شبهة الفصل التي جرّت على الإنسانية الويلات والمصائب العظمى. بعد ذلك يضيف إلى هذه المعرفة وعياً للعلاقة بين الأنظمة السياسية والمحيط الجامعي. ويمكن القول عجالة إن النظام السياسي العلماني يفرز محيطاً جامعياً علمانياً بصورة تلقائية. فالمحيط الجامعي هو الصورة المثلي التي تعطس حقيقة الوضع السياسي للنظام الحاكم. ولا بأس أن نلفت نظر القارئ العزيز إلى أن النظام الوحيد في العالم بأسره الذي يطبق الدين في حكومة المجتمع هو النظام الإسلام في إيران. ولم تطبق أية دولة أخرى حتى الدول المدّعية للإسلام أو الدين حكومة الدين بمعنى إعمال الأحكام والتشريعات والنظرية الدينية في السياسة وإدارة المجتمع [1].

غاية الأمر أن الأنظمة العلمانية الحاكمة انقسمت في نظرتها إلى الدين إلى فئتين. الأولى تنظر على الدين نظرة عداوة واستهزاء. والثانية تنظر إليه باحترام وتقدير كونه يمثل إحدى العناصر الرئيسية لثقافة الشعب. وانعكس ذلك على الأنظمة التعليمية والأجواء العامة في المدارس والجامعة.

هذا جانب من القضية، والجانب الآخر يتعلق بمسؤولية الطالب الجامعي تجاه الدين وتحصيل المعارف الدينية. وسأترك الإجابة والبيان للفصول الآتية من الكتاب. وإلى أن يصل القارئ إلى المكان المخصص لهذه الإشارات، سأشغل فكره ببعض الأسئلة الحساسة والمتعلقة بالموضوع وهي:

. ما هي المعارف الدينية التي ينبغي للطالب الجامعي تحصيلها؟

. ما هي المسؤولية الملقاة على عاتق الجامعي بالنسبة لنشر الدين؟

. ما هي أهم الشبهات الرائجة في الجامعة، والرد عليها؟

. ما هي العلاقة بين الجامعة والحوزة.

ع.ن.

15 آيار 1999م

[1] أَدْعُو القارئ الكريم إلى التأمل في هذه الإشارة، وتطبيقها على جميع الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية، وعدم الانخداع ببعض المظاهر والشعائر والقوانين.

إن الجامعة تمثل محور قضية مهمة. وإنني أعتقد بشكل عميق بأهميتها. فإذا لم يكن عندنا اليوم جامعة، فلن يكون لدينا أي شيء غداً. (1)

إن الجامعة تمثل لأي بلد في الواقع كل شيء. والطالب الجامعي هو ضمانته مستقبل أي مجتمع. ويمكننا أن نستشرف مستقبل المجتمع من خلال طلاب اليوم.

أولئك الذين أرادوا استئصال الإيمان الديني من إيران فهجموا على الجامعات ولوثوها بالأفكار والأوهام المعادية للدين، كانوا يدركون جيداً ماذا يفعلون. وفي الحقيقة، لقد كانوا يعتمدون على المواقع الأساسي لتحقيق مآربهم المنحطة. (2)

إن الجامعة هي الموقع الأساسي لأي مجتمع أو دولة. فإذا صلحت الجامعة فإن مستقبل ذلك المجتمع سيكون صالحاً. ولو فسدت فإن المستقبل الآتي هو فساد المجتمع.

ذلك الفساد الذي يحدث في الجامعة، من الممكن أن يكون علمياً أو أخلاقياً. والفساد العلمي هو أن يفتقد الأستاذ الجامعي الحرص والاهتمام بالتعليم، وتنعدم في الطالب روح التعلم والتحصيل. والنتيجة المتوقعة هي الأمية وسوى الفهم وعدم تطور وتكامل الاستعدادات والقابليات.

أما الفساد الأخلاقي فهو عدم حصول الطالب على التربية المطلوبة. سواء درس أم لم يدرس. فيفتقد إلى الشرف والنزاهة والنخوة والاندفاع والإيمان. إن نتيجة هذا الفساد تشبه النوع الأول، إن لم تكن أسوأ.

ذلك العالم الذي لا يكون شريفاً، ويفتقد إلى النخوة والغيرة للدفاع عن وطنه وشعبه وقيمة الدينية والوطنية، ويرجع العدو على نفسه، فيجعلها في خدمة هذا العدوان، إنَّ هذا العالم أسوأ من جميع الجاهل. (3)

يمكن أن نجزم قائلين أن قضية الجامعة كانت عند قائدنا الفقيه العظيم من قضايا الدرجة الأولى المتعلقة بالثورة والبلاد. وذات مرة قال الإمام في لقاء مع مجموعة من المسؤولين الثقافيين في الدولة: إن قضية الحرب هي أمر مرحلي ومؤقت، ولكن القضية المهمة والدائمة والأساسية عندنا هي الجامعات. (4)

في الحقيقة، لو تحولت الجامعة إلى مكان تجري فيه عملية التربية الدينية بشكل صحيح، يمكننا أن نطمئن إلى أن مدراء الدولة في المستقبل وكان سيدير عجلة الأعمال سيكونون إسلاميين، يتحركون وفق الرؤية الإسلامية. (5)

تمثل الجامعة مركزاً مهماً يعكس الجو الفكري السائد والتوجه العام للمجتمع. (6)

عقيدتي هي أن إحدى الميزانيات الأساسية والفائقة الأهمية للدولة هي التي تصرف على مراكز العلم والتحقيق.

فلو أنفقنا المال للحصول على إحدى المواد أو السلع الثانوية، ولكننا لم ننفق لأجل تنمية وتطوير الجامعة والعلم ومراكز التحقيق وأدوات المختبر والبحث والمصادر العلمية اللازمة وغيرها، فإن من يشاهد أعمالنا سيرى هذا في الواقع نوعاً من السذاجة، إن لم نقل حماقة. (7)

إن الساحة الجامعية هي ساحة ثقافية مفتوحة على ثقافات العالم وتياراته الفكرية. وفيها تجري عمليات التبادل الثقافي والعلمي. فهي ليست ساحة مغفلة. (8)

البيئة الجامعية بيئة مختلطة. وفي مثل هذا البيئة يكون احتمال حصول المشاكل والآفات الأخلاقية أكبر. (9)

إضاءات من الفصل

عندما نبحث عن العامل الجوهري وراء هذه الطفرة الكبيرة في مسيرة التمدن البشري . والتي بدأت في أوروبا مع حلول القرن السابع عشر واكتملت صورتها مع نهاية القرن التاسع عشر . فإننا لن نحتاج إلى وقت طويل حتى ندرك أنه الجامعة.

ما حدث في مسيرة العلم في هذه المدة القصيرة من عمر البشرية يقصر التعبير عنه بالطفرة أو القفزة النوعية. إن كلمة ثورة تبقى عاجزة عن تصوير التحول الهائل في جميع ميادين المعرفة، والذي أمد الغربيين بقوة عظيمة لتسخير الطبيعة والسيطرة على الكون. فقد كانت هذه الحركة التكاملية للعمل تسير ببطء شديد، وكأن يومها الذي تشرق فيه الشمس هو مئة عام أو أكثر. بل إنها عرفت في العديد من المجتمعات (إن لم نقل كل المجتمعات) مسيرة تسافلية، كانت تلك المجتمعات تخسر فيها تجارب الماضي ودروسه العلمية. كما حدث في مصر مقارنة مع ما يسمى مصر الفراعنة التي شهدت الكثير من الإنجازات العلمية (البناء، الري، الطبابة..). أو اليونان في عصر ما بعد الميلاد مقارنة مع ما قبله. أو الصين طوال الألف الثاني قبل. أو إيران التي غرقت قبل مئتي سنة في بحر التخلف. ومن طريف ما شاهدت في هذا البد من آثار قديمة عمارة "تشهل ستون" في أصفهان حيث اكتست جدرانها برسومات اصطبغت بأجمل الألوان التي حافظت على رونقها رغم مرور مئات السنين عليها. هذا، في حين أن الإيرانيين اليوم لا يعرفون كيف يمكن صناعة مثل تلك الألوان بموادها ويضطرون لشرائها من الخارج رغم أنها لا تضاهي الألوان القديمة متانة ودواماً.

لماذا خسرت هذه البلاد والمجتمعات ما وصلت إليه في السابق؟ بينما استطاعت أوروبا أن تجعل العلم والتقانة يسيران في حركة تكاملية، لم يعرف البشر لها نظيراً؟ بل وتمكنت أيضاً، من جمع كل إنجازات الحضارات السابقة ودرستها وتسخيرها؟!

والجواب هو تأسيس تلك المعاهد الأكاديمية وحمايتها ودعمها بشكل مطلق، وجعلها المسؤولة الوحيدة عن تطوير مجتمعاتها.

ففي أوروبا خرج البحث العلمي من إطاره الفردي ليصبح مؤسسة عامة تستقطب كافة الطاقات الكامنة وتصنعها بواسطة برامج تكاملية واضحة مستفيدة من كل الإنجازات السابقة.

أي إن مسيرة العلم عرفت ولأول مرة الخصائص التالية:

1. العلم الجماعي وتعميم الجهد العلمي.

2. الإصرار على الاستفادة من الماضي بشكل دقيق.

3. التطوير الدائم وعدم الجمود على إنجازات الماضين.

وهذه الخصائص مجتمعة تشكل الجامعة الحقيقية. ففيها تتضافر الجهود الكثيرة في إطار منهجي موضوعي. وتُبنى الأسس واللبنات (التي هي إنجازات الأفراد والجماعات) فوق بعضها البعض بطريقة تراكمية سليمة، ليظهر البناء الشامخ سريعاً.

وهكذا، فبمجرد أن دخل نهر العلم في قناة الجامعة، حدثت تلك النقلة النوعية التي جعلت من تاريخ العلم قصة قصيرة أمام رواية من عشرات المجلدات!

لقد أدرك الأوروبيون نتائج هذه الثورة. وعلموا أنها ستزودهم بعناصر القوة، التي ستجعلهم متفوقين على جميع شعوب العالم، وتمكنهم من السيطرة على الأرض. فجعلوا الجامعة على رأس الأولويات. وسرعان ما ظهرت النتائج.

وإذا قلنا إن الجامعة كانت العامل الأول في قوة الغربيين، فإنها في البلاد الإسلامية كانت عاملاً رئيسياً في الضعف والانحزام. وليس في الأمر غرابة إذا التفتنا إلى أن نشوء الجامعات الأكاديمية في بلداننا

قد تزامن مع الاستعمار الغربي لها. فقد أسست الجامعة في هذه البلاد على قاعدة الحفاظ على التبعية للغرب. وحققت أهدافها في الأغلب لحد الآن.

إن مصر القرن الواحد والعشرين تحصل على قمحها بشكل يومي من أمريكا، بينما كانت قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة قادرة على تخطي سبعة أعوام من القحط، بل ولتكون وقتها مستودع المناطق المجاورة!

هذا، بالرغم من أن مصر قد شهدت أولى الجامعات على مستوى البلاد العربية . وربما الإسلامية . كافة. في الغرب، ولدت الجامعة من رحم الثقافة السائدة والتي تعبر عن تطلعات شعوبها. وفي الشرق زرعت الجامعة في مواجهة ثقافة الشعوب. وقد خرجت أعداء لهم. ومعلوم كيف سيكون حال الشعب الذي تتجه نخبته نحو هدف يتعارض مع ثقافة وحضارة أبنائه.

إن هذا المرض الخطير والمعضلة الكبرى لم تكن ظاهرة قبل حوالي 50 سنة أو أقل في البلاد الإسلامية. وإنما كان الجامعيون يتربون على أساس إن معاداة ثقافة شعبهم هي الوسيلة الوحيدة للإصلاح والتطور. وللأسف الشديد، فإن هذه المنهجية ما زالت سائدة بشكل واسع النطاق في الجامعات. فالاعتقاد بأن التطور والتقدم مرهون بالأخذ بكل مفردات الثقافة الغربية هو السمة البارزة لجامعات بلادنا. ولو كان هذا الاعتقاد صحيحاً، لما كنا نرى بلداً شرقياً واحداً يحترم ثقافته ينال حظاً والازدهار تقدر ثقافتها التي لا تساوي شيئاً إذا ما قورنت بثقافة الإسلام. فهي عبارة عن مجموعة من الخرافات والأساطير والوجدانيات التي تفتقد إلى الحد الأدنى من العقلانية! فكيف إذا كانت ثقافة شعب ما قادرة على منازلة جميع ثقافات العالم وهزيمتها وتقديم كافة الحلول لكل معضلات الحياة الإنسانية، وتقديم الرؤية الكونية العميقة والمنسجمة.

ونحن لم نصرب تجربة اليابان مثلاً لاعتقادنا بكمالها وصحتها. وإنما وقفنا عند هذه الظاهرة التي أضحت قدوة للغربيين أنفسهم. وهي ظاهرة جمعت بين العلم والثقافة الأصلية، ولم تخرج من جذورها

الشعبية. وقد أكتشف العديد من اليابانيين الذين كانوا قد أضاعوا هويتهم وتغربوا ربحاً من الزمن مدى خطئهم، ورجعوا إلى ثقافتهم. وكان ذلك بعد الازدهار الكبير الذي سمي بالمعجزة اليابانية.

فالعلاقة بين الضعف والتبعية الثقافية تشبه قانون السببية. فعندما يكون الشعب مهزوماً أو ضعيفاً من الناحية الاقتصادية يصبح تابعاً في البعد الثقافي. ذلك لأن الضعف الاقتصادي يولد هزيمة نفسية تكون سبباً للتبعية الثقافية. وإذا تمكن هذا الشعب من الخروج من التبعية الاقتصادية وحقق ازدهاراً قومياً فإنه سيكتشف الوهم الذي وقع فيه. وعندها ستقع أزمة من نوع آخر تترك بصماتها في عمق كيان المجتمع.

تمثل الدولة ذلك الجهاز الذي يتحمل مسؤولية تأمين جميع حاجات المجتمع وتنظيمها. وأهم هذه الحاجات هي:

1. الغذاء: وتهتم بها وزارات التجارة والصناعة والمالية والعمل و..

2. الصحة: وتهتم بها وزارة الصحة.

3. الأمن: وتهتم بها القوات الأمنية والعسكرية.

4. الغريزة: وتهتم بها وزارة العمل الاجتماعي والإسكان و...

5. العلم: وتهتم بها وزارة الثقافة والتعليم والتربية.

6. الروحانية: وتهتم بها وزارة الإرشاد والتوجيه والأوقاف (إن وجدت).

7. الحرية والاستقلال: وهي مسؤولية الجميع.

فجميع هذه الحاجات أساسية، لأي ستغني المجتمع الإنساني عنها وتترابط فيما بينها. ويوجد بينها تفاضل وأولويات، وتتداخل هذه الحاجات، بحيث تحتاج إلى تنظيم، يقوم به القائد الأعلى.

كما أن تأمين هذه الحاجات يخضع في عصرنا الحالي لاعتبارات عديدة كالمنافسة وقلة الموارد والعزة والحرية والاستقلال والثقافة. لهذا يجب تأمين ما ينسجم مع ثقافة المجتمع من الحاجات الأساسية. وألا انهار هذا المجتمع وتهدم، أو تسقط حكومته، لتحل محلها حكومة أخرى. تقدر على تأمين ما هو ضروري.

والذي يحدد الضروري. كما ذكرنا. هو نوع الثقافة الحاكمة على المجتمع. فإذا كانت ثقافة المجتمع مادية، فإن تحقق الرفاهية وتأمين الكمالات هما أمر ضروري. وإذا حصل المجتمع على حرية نسبية، فإن الحاجة إلى العلم تزداد فيه. وكذلك نفس تفاوت استهلاك المواد والسلع بين مجتمع وآخر بحسب تفاوت ثقافة كل منهما.

مصادر النصوص

جميع النصوص التي اعتمدت في هذا الكتاب مأخوذة من خطابات سماحة الإمام القائد في مناسبات عديدة. وقد ذكرنا تاريخ كل خطاب بالتقويم الهجري الشمسي([1]):

1. 1362/10/27 هـ.ش

2. 1374/9/18 هـ.ش

3. 1370/6/14 هـ.ش

4. 1368/3/23 هـ.ش

5. 1367/7/13 هـ.ش

6. 1365/7/7 هـ.ش

7. 1372/10/1 هـ.ش

8. 1365/8/6 هـ.ش

9. 6137/7/13 (2) هـ.ش

[1] التقويم الهجري الشمسي يبدأ من تاريخ هجرة الرسول الأعظم "صلى الله عليه وآله وسلم" إلا أنه يعتمد على حساب السنة الشمسية (بالميلادية) حيث يكون عدد أيام السنة 365 يوماً. وتبدأ السنة الهجرية الشمسية في 21 آذار من كل عام.

[2] تصدي سماحة الإمام القائد لولاية الأمر عام 1368 هـ.ش. ويتفق تاريخ صدور هذا الكتاب عام 1999 م مع العام 1377 هـ.ش.

إنني أعتقد كثيراً بدور الاتحادات الإسلامية وأسلم بذلك. فإن هذه الاتحادات تعتبر أهم التجمعات التي يمكنها أن تدخل الإسلام إلى الجامعات.

إن هؤلاء الشباب الذين يعملون في هذه الاتحادات الإسلامية داخل هذه الجامعة أو تلك، يكون درهم أحياناً أكثر تأثيراً، وأقوى وأشد نفوذاً من الأستاذ أو المدير أو المسؤولين. ويجب علينا أن نقدّر هذا الأمر. (1)

إن الإتحادات الإسلامية، ليس فقط في الجامعات، بل في جميع المؤسسات تمثل إحدى أقوى أسلحة الثورة.. هذا السلاح هو سلاح قوي جداً. (2)

ولا شك بأن هذا الدور (العمل الجامعي) إذا أردنا أن يكون صحيحاً، فيجب القيام به في إطار منظم وتشكيل صحيح.. وإنني أعتقد بأن المظهر الأساسي له هو "اتحاد الطلبة الجامعيين الإسلاميين". (3)

أول عمل يجب أن تقوم به الإتحادات الإسلامية هو أن يغنوا أنفسهم بالثروات الإسلامية (التعاليم والمعنويات).

فليس الاتحاد الإسلامي في أن ينتسب إليه الأعضاء. بل أنه يتطلب العمل الإسلامي والفكر الإسلامي والأصول الإسلامية، والارتباط بمحاور الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية. (4)

كنت أرى الإمام عندما يتحدث عن الإتحادات الإسلامية في أي مجال، فإنه كان يؤكد كثيراً على أن الإخلاص والصدق هما الشرط الأول. (5)

على الإتحادات الإسلامية أن تحافظ على الروح الثورية والإسلامية في الجامعات. (6)

يجب على الاتحاد الإسلامي أن يهيئ الأرضية والأجواء المناسبة لنفوذها الفكر الديني والثقافة الدينية في الجامعات بصورة صحيحة وعميقة ومتناسبة مع طلاب الجامعات. (7)

يجب أن يكون عناصر الاتحاد الإسلامي الجامعي الأفضل بلحاظ الوعي والاستعداد والدراية والكفاءة. يجب أن يتشكل الاتحاد من أكثر الأفراد تديناً ووعياً وذكاءً ونشاطاً وشوقاً للمطالعة والبحث والتحقيق. (8)

(كذلك يجب أن يتشكل الاتحاد الإسلامي) من الأفراد الصادقين السالمين الذين يحوزون على الفكر الإسلامي العميق، وليس مجرد المشاعر الإسلامية. (9)

بالتأكيد يجب وضع معايير للانتساب. فلا تدخلوا أياً كان إلى الاتحاد. فعندها لن يبقى له أي معنى. لهذا يجب أن تراعوا الحد الأدنى.

وقد شاهدتم كيف تستقطب الأحزاب الأفراد المناسبين. وعليكم أن تفعلوا ذلك. فاختراروا الشاب الجامعي الذي تشعرون بأنه يمتلك القابلية والاندفاع ويمكن العمل عليه، وبعدها أدخلوه في الاتحاد. (10)

أجعلوا الاعتقاد بولاية الفقيه أحد شروط الانتساب. فولاية الفقيه هي نظام المجتمع، وليست نظرية منفصلة عنه. إنها حكومة العلماء العقائديين على المجتمع.

الاعتقاد بولاية الفقيه هو الاعتقاد بخط الإسلام. وليس مجرد القول "يجب أن يكون الإمام الخميني على رأس السلطة".

إن الاعتقاد بولاية الفقيه يعني الاعتقاد بأطروحة الإسلام والرجوع إليها. (11)

لا تدعوا الاتحاد الإسلامي يتحول إلى تشكيل فوضوي. أتصور إن إحدى الحراب التي يمكن أن تستعمل ضد القوى المؤمنة هي هذه. فلا ينبغي أن تدعوا هذا التصور حول فوضوية الاتحادات الإسلامية ينمو وينتشر.

لهذا عليكم أن تتصرفوا وتعملوا كمجموعة واحدة متينة وشجاعة ومدبرة في الجامعة فيما يتعلق بأية قضية لها مساس بالثورة والإسلام. (12)

أرى اليوم وجود حزازات بين المجموعات الإسلامية والمؤمنة في الجامعات، وكأن لا وجود لأي مشكلة على صعيد النظر إلى المعارف الإسلامية وقيم الإسلام. (13)

يُشاهد في بعض الأحيان مجموعتان طلابيتان في الجامعة تقفان مقابل بعضهما البعض، وكأنهما جيشا إيران والعراق! (هذا الكلام في زمن الحرب) غافلين عن أنهما مجموعتان مؤديتان للثورة وكلاهما يعتقد بالإمام. (14)

إضاءات من الفصل: أسلمة الجامعة، استفادة من تجربة الثورة

كما نعلم، فإن الجامعات بمناهجها وميادینها وسياساتها بُنيت في إيران ما قبل الثورة على أساس تحقيق أهداف الاستعمار في مناطق الشرق. وعندما انتصرت الثورة الإسلامية ورثت هذه التركة الثقيلة بأعبائها ومشاكلها. ورغم أن الطلاب الجامعيين لعبوا دوراً مهماً في تحريك الشارع الإيراني وتشويره، إلا أن الجامعة تحول بعد الانتصار إلى أداة لضرب الثورة. وبدأت المؤامرات المختلفة تحاك من داخلها. وفشلت الجهود العادية في إيقاف هذه المؤامرات عند حدها حتى أضطر قادة الثورة الفتية إلى إعلام إغلاق الجامعة لإصلاحها وتطهيرها.

وهذا، إن دل على شيء فإنه يدل أولاً على خطورة الجامعة وأثرها العميق في المجتمع، وعمق المشكلة الكامنة فيها. فالجامعة ليست مجرد مبان وعمارات، أو إدارة تشبه الإدارات الرسمية الأخرى. بل هي تاريخ ومناهج وخبرات وسياسات، انتقلت إلينا مباشرة بعد عشرات السنين من التشكل داخل رحم الثقافة الغربية. فهي أفضل مولود يفتخر به الغرب على العالم كله.

وصحيح أن الغرب يتفاخر على العالم بصناعاته وتقنياته وحياته السياسية وحرياته الإعلامية وإزدهاره الاقتصادي، إلا أن مردّ ذلك كله إلى مصنع هذه الإنجازات في مختلف الميادين، أي إلى الجامعة.

وعندما حدثت التحولات العميقة في الحياة السياسية في الغرب، وأدت إلى إرساء قواعد مشاركة الشعب. كان لابد من الحفاظ على هذا التحول وصيانتة من الآفات. وقد كانت الجامعة لمثل هذا الدور.

وبما أن الثورة الإسلامية لم تكن مجرد ثورة سياسية لتغيير النظام، بل كانت ثورة شاملة لكل ميادين الحياة. فقد وجدت نفسها مباشرة أمام هذا التحدي الكبير الذي يفوق قوة النظام الفاسد ومخبراته المقيتة. أي أن الثورة الإسلامية كانت مواجهة حضارية بكل ما للكلمة من معنى، ومنذ انطلاقتها. حيث أعلن الإمام "قدس سره" إن الهدف هو إقامة حكومة إسلامية تحكم بشريعة الإسلام ونظامه، ولا يكفي

أن يتغير اسم الحكومة من استبداد إلى إسلامية، فما لم تتغير النفوس لا نكون قد فعلنا شيئاً. وغلى يومنا هذا حيث يؤكد سماحة الإمام القائد إننا نخوض حرباً شاملة في مواجهة الغزو الثقافي.

لقد زرع الغرب في إيران . كغيرها من البلدان . تلك المؤسسات التي تنتج ثقافته على نطاق واسع بين نخبة الشعب ومسؤولية. وكان مطمئناً إلى أن مثل هذا التأسيس يضمن له البقاء في أي بلد، حتى ولو خرج منه عسكرياً وأمنياً. وفي حال تم إخراج سياسياً من الباب، فإنه سرعان ما يعود من النافذة. لأن السيطرة الثقافية هي التي تؤمن السيطرة السياسية والاقتصادية.

وهكذا، دخلت الثورة الإسلامية في حركتها لتغيير المجتمع تغييراً حقيقياً، في عملية أسلمة الجامعات. وقد توجه العمل بشكل رئيسي نحو الأركان التالية:

أ. المناهج

ب. الإدارة

ج. الهيئات التعليمية

د. الأجواء والمناخ

وكان التحدي الأكبر مرتبطاً بالركن الأول، وخصوصاً في العلوم الإنسانية. وترجع الصعوبة إلى أن الحوزات العلمية، التي تتكفل بإنتاج الثقافة الإسلامية، كانت، طوال القرون الماضية، بعيدة عن ميادين المجتمع والحكومة. وإذا ظهرت بعض الدراسات الإسلامية في هذا المجال فإنها كانت جزئية وعامة جداً وبعيدة عن الوقائع المختلفة للزمان.

وفيما يتعلق بالتغيير الإداري، فلم تكن المشكلة في إيجاد الرجال الصالحين الكفوئين. وإنما في الحاجة إلى ثورة إدارية شاملة في المجتمع، بحيث يتصل تيار التغيير الإداري في الجامعة بنظيره في المجتمع ويحول الجامعة إلى مؤسسة مفيدة ومؤثرة في البرامج والخطط الاستراتيجية.

وعلى صعيد تأمين الطاقم التعليمي المناسب فقد وُضعت الخطط التي تضمن وصول العدد اللازم من الجامعيين الملتزمين بخط الثورة الإسلامية إلى التخصص المطلوب واتخذت الإجراءات المختلفة للحد من التأثيرات السلبية للأساتذة الموجودين.

وبالنسبة لتغيير أجواء الجامعات الذي هو في الحقيقة تغيير لنفوس وثقافات الطلاب، فقد أوكل الأمر إلى الإتحادات الإسلامية الطلابية، التي تعرف عندنا بالتعبئة التربوية. وذلك للحاجة إلى الاتصال المباشر اللاصفي، الذي لا تستطيع الإدارة أو الأساتذة أو المناهج تأمينه. وقد لعبت هذه الإتحادات دوراً كبيراً في أسلمة الجامعات من خلال بث الثقافة الإسلامية التي كانت بحاجة إلى سنوات طويلة لكي تدخل في المناهج الجامعية. وإلى هذا أشار سماحة الإمام القائد بقوله "إن دور هذه الاتحادات يكون أحياناً أكثر تأثيراً وأقوى وأشد نفوذاً من الأستاذ أو المدير أو المسؤولين".

ولكن المشكلة تكمن أولاً في نفس هذه الاتحادات التي ينبغي أن تحوز على المواصفات الأساسية للعب دور تغييري. فما لم يحصل التغيير في الذات لا يمكن تغيير الآخرين. وقد وضع سماحة الإمام القائد مجموعة من الشروط التي ينبغي مراعاتها في الانتساب والأعداد والعمل، نذكرها بشكل مختصر:

أ. الانتساب: أكد إمامنا على ضرورة الالتفات إلى مواصفات ومؤهلات من نريد إدخاله في الاتحاد الطلابي. فينبغي أن يكون مؤهلاً وقابلاً للأعداد. فليس الهدف هو زيادة العدد، لأنها لا تزيدنا إلا خبالاً. وعليه يجب مراعاة الدقة في الاختيار والتركيز على ذوي الاستعداد والذكاء، بحيث إذا قمنا بإعدادهم ينقلبون ذلك ويتفاعلون معه. وإن مجرد التأييد الظاهري والحماسي ليس كافياً للاختيار. بل يجب اعتبار الاعتقاد بولاية الفقيه شرطاً أساسياً لأنه تبين لأصول وقواعد العمل الإسلامي في الجامعة والمجتمع. وإن الرغبة في تحصيل العلوم الإسلامية والمطالعة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

ب. الإعداد: وإذا وصل الأمر إلى مرحلة الأعداد الذاتي، فإن سماحة الإمام القائد يؤكد على ضرورة تحصيل الدرجات العالية من الثقافة الإسلامية لأن الطالب الجامعي سيكون في المستقبل أحد قادة ومسؤولي المجتمع. فليس مسموحاً أن يكون الإنسان مسؤولاً في المراتب العليا، وتكون ثقافته ثقافة

العوام. وقد قال مولى الموحدين وأمير المؤمنين "عليه السلام": "بلوغ أعلى المراتب من غير استحقاق من أعظم أسباب الهلكة" (نهج البلاغة) ولهذا عبر القائد عن ذلك بالغنى في الثورات الإسلامية. لأن أعضاء الاتحاد الإسلامي يتحملون مسؤولية العطاء. وكيف يعطي من كان محتاجاً وفقيراً.

وعليه، فإن عملية إعداد أفراد التعبئة التربوية ينبغي أن تكون ناظرة إلى الغني والعمق والاصالة.

ج . العمل: لقد حدد سماحة الإمام القائد الدور الأساسي للاتحاد الإسلامي بصناعة وتهيئة المناخ اللازم لنفوذ الفكر الديني والثقافة الإسلامية في الجامعة. ويجب النظر إلى جميع الأعمال والأنشطة الأخرى من هذه الزاوية بالتحدي. ولا ننسى، فإن دور الاتحاد الإسلامي ينبع من طبيعة التحدي والمواجهة العميقة الحضارية التي تهدف إلى أسلمة الجامعة. إن الجامعة التي ترتبط بالغرب ومناهجه تهدف إلى صناعة رجال تابعين للغرب. وإذا تمكن الاتحاد الإسلامي من صناعة أفراد مؤمنين مخالفين للغرب، فقد حقق أكبر إنجاز مطلوب منه.

وهكذا. يحدد سماحة الإمام العمل الأساسي للتجمع الطلابي في تهيئة المناخ ورعاية الأجواء التي تقبل عملية نفوذ الفكر الإسلامي إلى الجامعة. ويبقى على العالمين أن يفكروا في الوسائل التي تصنع مثل هذه الأجواء. وعليهم أيضاً أن يقوموا بدور تبليغ الإسلام بعد أغناء أنفسهم بثرواته. ويوجد مجموعة أخرى من الأولويات للعمل الجامعي، يمكن الإشارة إليها بشكل مختصر، وهي:

1. تنظيم الطاقات والفعاليات الطلابية.

2. إبقاء الروح الجهادية والثورية متأججة بين الطلاب.

3. ربط الطلاب بمحاور الفكر الإسلامي.

مصادر النصوص

1. 1364/12/14 هـ.ش

2 . 1363/2/31 هـ.ش

3 . 1361/9/4 هـ.ش

4 . 1363/9/27 هـ.ش

5 . 1361/9/4 هـ.ش

6 . 1364/3/15 هـ.ش

7 . 1367/7/13 هـ.ش

8 . 1363/2/1 هـ.ش

9 . 1361/9/4 هـ.ش

10 . 1364/5/14 هـ.ش

11 . 1361/2/7 هـ.ش

12 . 1364/3/15 هـ.ش

13 . 1364/3/15 هـ.ش

14 . 1367/7/13 هـ.ش

"المسألة الأولى هي تحصيل العلم والمسألة الثانية هي تحصيل الإيمان الديني والتعبد والتمسك بالأخلاق وتركبة النفس.

أما المسألة الثالثة فهي الوعي السياسي.

وهذه مجتمعة تشكل واجبات الطالب الجامعي "

الإمام الخامنئي 1373/3/18 هـ.ش.

أ- التحصيل العلمي

يجب على الجامعيين أن يدركوا حقيقة رسالة الطلب الجامعي.

إن رسالة الجامعي هي الاستفادة من الجامعة للدرس والتحصيل والتطور. (1)

يلعب العلم في عصرنا الحالي دوراً عظيماً جداً. وأولئك الذين يمسكون بزمام السلطة والأجهزة السياسية في العالم والبلاد الكبرى هم أشخاص عاديون.. ولكن في نفس الوقت مسيطرون على العالم. فلماذا؟

إن ذلك كان بواسطة العلم. (2)

إذا لم نمتلك الطاقات الفاعلة والسليمة، والتي يمكن الاعتماد عليها، فإن الثورة ستقف في منتصف الطريق. ولا ينبغي أن نشك في هذا الأمر بتاتاً.

ومن أين نحصل على هذه الطاقات؟

لا شك أن ذلك لا يكون من خلال الجامعة. أو على الأقل القسم الأساسي منها في الجامعة. فللجامعة مثل هذه الأهمية. إن إدارة البلد بيد الجامعة. كما أن المسير الأساسي تحدده الجامعة. (3)

إن ما يبعث على القلق هو أن تستهين قوناً المؤمنة بقيمة العمل العلمي في هذا البلد.. ولو حصل هذا الأمر، فإننا سنهزم في سائر الجبهات. (4)

في يومنا هذا، فإن العمل الصالح هو الدراسة. وعليكم أن تنظروا إلى هذا الأمر على أنه أحد مبادئ الثورة الإسلامية والجمهورية.

يجب أن تكون الجامعات مركز الدرس والعلم. (5)

إن هذا الجد والمثابرة في التعليم . والذي يعدّ من مميزات الحوزات العلمية . يجب أن يكون مبدئاً أساسياً في التحصيل (الجامعي). (6)

إن العلوم التي تُدرّس الإنسان، وتحدد كيانه في البيت والمحيط الاجتماعي والدولي هي أهم العلوم في محور الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية. (7)

إن قضية أسلمة العلوم الإنسانية، أو بعبارة أفضل، اعتماد منهج الفكر الإسلامي في باب المسائل الإنسانية والعلوم الإنسانية، هي قضية فائقة الأهمية. (8)

في عصرنا الحالي، فإن الأنظمة التي ولدت من رحم الثقافة الغربية . سواء تلك التي تحكم المناطق الغربية من العالم أو مناطق أخرى . قد تطورت على مستوى وسائل العيش حتى وصلت إلى الكواكب والمجرات السماوية فهذا (التطور) . وللإنصاف . أمر هائل من الناحية العلمية، ولا يمكن إنكاره.. ولكن هذا التصور العظيم؛ إذا نظرنا عليه من جانب مسيرة حياة الإنسان واحتياجاته، لوجدناه غير ضروري، بل مضر..

ففي هذا العالم لا نجد معنى للروح والتوجه الأصيل . ولهذا نرى العالم يضح بالظلم والجور .

وللأسف، فإن البعض لم يتضح لديهم هذا الأمر . أليس هذا العالم لأجل الإنسان؟ فإذا شاهدنا كل هذا الشقاء في حياة البشر، ألا يكون هذا كافياً ليفهم المرء أن أحد أجنحة الإنسانية منكسر؟! (19)

مما يؤسف له إن جسمنا الاختصاصي منقطع عن الجامعات .

إنني أعتقد بعمق بأهمية وصل جامعاتنا بالأجهزة التنفيذية، وكذلك برأس هذه الأجهزة. (10)

يجب أن تسرى روحية حب العلم والتحقيق والتحصيل في الجامعيين. (11)

يجب أن توجد روحية التحقيق والبحث الصافي والبعيد عن طلب العوض والأجر . فالتحقيق العلمي ليس له أجر وقاعي . فإذا أردنا . مثلاً . أن نعطي "پاستور" مقابل اكتشافه للميكروب، كم يجب أن نعطيه؟! فهل يمكن أن نجد له مقابلًا؟! (12)

المشكلة الأخرى هي التوجه إلى الشهادات والحياة المادية وأضغاث أحلام الشباب.. وهكذا يتحول طلب العلم إلى وسيلة للجاه والمال، ويكون اختيار الاختصاص العلمي على أساس المدخول المالي الأعلى والسلطة الأكبر.. ما يؤدي إلى لطمة مؤلمة للعلم. (13)

لو ركزنا على العلم دون البعد الآخر للصالح لوقعنا في خسارة مبينة. (14)

إضاءات من الفصل: العلم والجهاد في سبيل الله

من المسائل الأولية التي ينبغي أن تكون من مسلمات الدخول إلى الجامعة عند الطالب مسألة موقع العلم في الحياة. ونحن نقصد هنا الموقع المطلوب على ضوء الرؤية الإسلامية الشاملة. وإلا، فإن كل طالب جامعي يمتلك تصوراً. ولو ساذجاً. عن دور العلم في حياته.

عندما يُستخدم مصطلح "العلم" في أوساط المثقفين والجامعيين يقصد به غالباً تلك المعارف والعلوم التجريبية الحسية، كالهندسة والفيزياء والطبيعات. وأحياناً يضاف إلى هذه العلوم العلوم الإنسانية رغم عدم خضوع مسائلها لنفس المنهجية البحثية، وإنما بسبب ورودها من المصدر نفسه وهو الغرب.

وصحيح أن تقدم العلوم الإنسانية في الغرب يُعزي في الأغلب إلى نزولها إلى ميادين التجربة والتطبيق والملاحظات الواقعة، وانتشالها من الاستغراق في التنظير، إلا إن هذه العلوم لا تخضع لمعايير التجربة الحسية المستخدمة في العلوم الطبيعية (طب، هندسة، طبيعيات...).

وعليه، يجب أن نميز جيداً بين معاني "العلم" بالمصطلح الشائع في الجامعة. وأن نمتلك تصوراً واضحاً عن الاختلاف الموجود في مناهج البحث في العلوم كافة. لأن عدم التفريق يؤدي غالباً إلى أخذ نتائج الأبحاث الإنسانية أخذ المسلمات واليقينيات كما في العلوم الطبيعية. وإلى هذه القضية أشار سماحة الإمام القائد: (رقم 8).

وبعدها، إذا أردنا أن نتعرف إلى موقع العلم ودوره في حياتنا، علينا أن نمتلك تصوراً واضحاً عن طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه والمؤثرات والعوامل التي تساهم في بلورة مسيرة ومصيرة. وبعبارة أخرى أوضح، ما هي القوى التي تحرك هذا المجتمع ليتخذ لنفسه هذه الثقافة وتلك التوجهات وهذه التحركات؟!

فهل نمتلك . نحن الطلاب الجامعيون . تصوراً واقعياً ووعياً صحيحاً لهذه القوى والعوامل؟

هل تكفي تلك الأحاسيس والمشاعر التي تصدر من أبناء مجتمعنا لتعيين مصيره؟ ألم تصدر مثل هذه المشاعر في أوقات سابقة ولكنها لم تؤد إلى شيء يذكر؟ ألا يسمح الأعداء أحياناً بصدور مثل هذه الأحاسيس لأجل التنفيس عن الاحتقان الداخلي؟!

ولقد أشار سماحة الإمام القائد إلى أن العلم هو الذي يؤمن السيطرة على العالم، وبه تدار الشعوب، وبدونه فالهزيمة حاصلة حتماً. ومثل هذه الإشارة قد يكون لها وقع الصدمة على الكثير من شبابنا الذين غفلوا عن دور العلم المصيري بسبب النكسات التي أصيب بها مجتمعنا المتخلف من جهة، وبسبب تحقيق العديد من الإنجازات السياسية ضمن العوامل الشعبية من جهة أخرى.

ولكن، إن كل من تقدم في حركة الصراع واكتوى بناره ووقف في الخطوط الأمامية، يعلم جيداً عن الاستمرار في الجهاد والمقاومة . التي تمثل حقيقة التقدم . يعتمد بشكل كبير على العلم. وفي مثل هذه الخطوط والمواقع ترسم النتائج المستقبلية والقضايا المصيرية.

على طلابنا الأعزاء أن يكتشفوا العوالم المحركة لمجتمعنا اللبناني ليشاهدوا عن قرب كيف تستخدم هذه القوى العلوم والمعارف لأجل الاستمرار في السيطرة على البلاد وتوجيه العباد. كما أن عليهم الارتباط القوي بعوامل المواجهة والمقاومة ليدركوا عن قرب أيضاً، الحاجات العلمية والاختصاصات المطلوبة.

كان العلم وسبقى قوة أساسية . وهو قوة كبيرة في الصراع والجهاد الذي نقوم به . وتحصيله جهاد كبير في سبيل الله . وخلاصة الكلام هي :

أولاً: ضرورة معرفة معنى العلم ومناهج العلوم .

ثانياً: ضرورة معرفة موقع العلم في الحياة ودوره في رسم مصير المجتمع .

ثالثاً: ضرورة معرفة الحاجات العلمية لمجتمعنا المقاوم من خلال معرفة القوى المتآمرة عليه ، والقوى المواجهة لها .

رابعاً: ضرورة التوجه إلى طلب العلم على أساس أن عبادة وجهاد في سبيل الله .

ويبقى أن نشير إلى أن طلب العلم وحصيلة ينبغي أن ينبع من رؤية شمولية للحياة . ومنها أن العلم بدون تهذيب النفس والوعي السياسي . كما سيأتي . يكون سبباً للفشل والانحزام . ومن المهم جداً ، أن يتعرف الطلاب الأعضاء على العلاقة الوثيقة بين بلوغ المراتب العالية للعلم وتهذيب النفس ، حتى يصلوا إلى امتلاك حساسية فائقة في هذا المجال . لأن مجتمعنا قد عانى الويلات من أولئك العلماء غير المهذبين . وفي مثل بلادنا ، تكون عاقبة أمثال هؤلاء أن يصبحوا عمالاً للاستكبار وعوناً له .

مصادر النصوص

1 . 1362/10/3 هـ .ش

2 . 1369/5/23 هـ .ش

3 . 1365/5/16 هـ .ش

4 . 1362/11/19 هـ .ش

5 . 1363/2/1 هـ.ش

6 . 1360/9/27 هـ.ش

7 . 1362/10/4 هـ.ش

8 . 1362/10/4 هـ.ش

9 . 1372/9/24 هـ.ش

10 . 1371/8/19 هـ.ش

11 . 1372/10/1 هـ.ش

12 . 1369/10/4 هـ.ش

13 . 1369/7/8 هـ.ش

14 . 1365 /8/7 هـ.ش

ب . الثقافة الدينية وتهذيب النفس

إذا أرادت الطبقة الجامعية المحافظة على نشاطها التقدمي والهادي لأجل مستقبل الثورة، فإنها تحتاج إلى إدراك حقيقة موقعها في الجامعة وفي المجتمع. (1)

يجب أن يبقى للجامعي دور التقدم والسباقية في المجتمع. غاية الأمر أن طبيعة هذا الدور تختلف باختلاف أوضاع المجتمع ومقتضياته. (2)

يجب على الطالب الجامعي أن يعتبر نفسه ملزماً بنوعين من الإعداد والبناء في الجامعة، وهما: البناء العلمي، والإعداد الأخلاقي والفكري. (3)

في الحوزات العلمية، عندما يدخل الطالب للدراسة، فإنه . كما غيره . لا يتوقع أن يتخرج منها عالماً فقط. بل يتوقع أن تنمو بداخله وبشكل متكامل المعارف الدينية والتعبّد بالأحكام الإسلامية والأخلاق الروحية المتعالية. بحيث يخرج من الحوزة عالماً واعياً متعبداً ومتقيداً بالشرع.

وفي الجامعة فإن المأمول هو هذا أيضاً.. في النظام البائد، كان جو الجامعة معروفاً بأنه محيط أولئك الذين كانوا متوسطين من الناحية الدينية، عندما كانوا يأتون إلى الجامعة كانوا يشعرون بأنهم أحرار في الانغماس بالأعمال المخالفة للشرع. (4)

على الجامعي أن يكون سابقاً. فإن هذه الفئة من الشباب الواعي المطلّع المليء بالاندفاع يجب أن تكون في المقدمة. (5)

من الطبيعي أن يكون الطالب الجامعي مطلعاً وواعياً ومتلقياً للمعارف والأفكار التي تنتشر في العالم. فمثل هذا الإنسان إذاً، يكون في معرض نفوذ الآفات الفكرية وعدم المبالاة بالدين والقيم الدينية والثورية. إن هذه المسألة هي إحدى مشاكل الساحة الجامعية. (6)

ما دتم تشاهدون في أنفسكم هذا الاندفاع والنشاط للعمل الإسلامي والبناء الإسلامي، فانظروا إلى المستقبل بنظرة ملؤها الأمل والتفاؤل. (7)

يكون الطالب الجامعي بطبيعته مثقفاً، وهو يريد: أن يبدي رأيه بأوضاع البلاد، وأن يمتلك رؤية وعقيدة.
(8)

لقد ذكر لي أن شباب هذه الجامعة قد قضوا ليلتهم بالدعاء والتوسل والتضرع.. إن هذا في الحقيقة يسر الإنسان. بدون هذا، لن تستمر الشعلة. بل ستنطفئ وتزول.

وعلى كل واحد . أينما كان . أن يجعل ارتباطه بالله تعالى شفافاً، واضحاً، قوياً ومتكاملاً. (9)

إضاءات من الفصل: الثقافة الدينية في الجامعة وأهمية تهذيب النفس في التحصيل العلمي

عند دراستنا لبيئة الساحة الجامعية من ناحية علاقتها بالدين والمعنويات، نشاهدها وكأنها تريد أن تكون على نقیض وتضاد معه. فهي ساحة الاختلاط الثقافي والشبابي والسياسي والتحرر الفكري والأخلاقي والمسلكي، وفيها يشعر الطالب أن عليه أن يتفكّر من قيود المدرسة وأنظمتها، وأنه قد أصبح راشداً، كما أنه مقبل على الزواج وعليه أن يختار بحرية شريك حياته...

وبما أن الدين يبدو للأكثرية الساحقة من الشباب مجموعة من القيود والأنظمة فإنهم، والحال هذه، سيشعرون برغبة للهروب منه والابتعاد عنه للحصول على ما يرغبون.

أضف إلى ذلك عامل الأغراءات الشهوانية الهائلة التي تولدت بفعل التحلل السلبي الموجود في مجتمعنا اللبناني، فالنتيجة هي أن البيئة الجامعية لا تشكل أرضية أو جوّاً مساعداً للنمو العقلي والنفسي والأخلاقي. وهذا الأمر يمثل الجو غير الملائم لطرح القضايا الدينية والمعنوية.

وفي الجامعة أيضاً تلنقي التيارات الفكرية الدينية والسياسية وتطرح أفكارها ومعتقداتها بحرية، وتُطرح معها مئات الشبهات والآراء المخالفة للدين الإسلامي.

ومن خلال هذا الاستعراض السريع للمشاكل المتعلقة بهذا العنوان نخرج بتحديد أولي لأهم ما يهدد السلامة الفكرية والمسلكية للطالب الجمعي:

أ . الاختلاط الذي يحمل معه إثارة الشهوات والغرائز .

ب . الشبهات الفكرية حول الدين .

ج . فقدان حالة الشعوب بالرقابة الإلهية .

د . احترام العقائد والتيارات المنحرفة .

أما العوامل المساعدة على رواج التدين والتهذيب، فأهمها ما يرجع إلى طبيعة الشباب التي تكون مستعدة للتعرف إلى الأفكار بحرية ودون تعصب، وضعف الروابط السيئة بالدنيا الحرام أو قلتها (قياساً مع الكهول والشيخوخ)، والبيئة الخارجية التي تعيش أجواء المقاومة والتحديات المصيرية. فالمقاومة أضحت شعلة الحرية والبطولة والعنفوان الذي فضح زيف وكذب وسخافة كل الادعاءات الأخرى. وحيث إن الشباب بطبيعتهم يريدون أن يتمسكوا بما يمثل لهم معاني العنفوان والمروءة والشجاعة، فقد كانت التيارات السياسية المختلفة تصنع لنفسها نماذج لهذه المعاني لكي تبقى مقبولة عند الشباب. ثم جاءت المقاومة الحقيقية وأثبتت طيلة السنوات المتواصلة للجهاد والشهادة نم هو الذي يحمل هذه المعاني بصدق، ومن هو مجرد مدّع لا أكثر.

هذه المقاومة لا تمثل هذه المعاني فقط، بل أنها تطرح وبقوة قضية الخلفية الفكرية التي تنطلق منها. لأن طبيعة والصراع المير الذي تخوضه يظهر كل يوم أن مسألة مبادئ وسلوكيات، وأن الحرب حرب عقائدية.

ولا بأس من الإشارة إلى التجربة الأمريكية في مواجهة المد الشيوعي في الولايات المتحدة نفسها، ذلك لأنها تطبق اليوم في بلدنا بقوة. ففي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين اجتاحت الأفكار الشيوعية الجامعات الأمريكية ولاقت رواجاً وإقبالاً كثيفاً مما أخرج السياسة الأمريكيين

وأشعرهم بالخطر الكبير! فوضعوا خطة لمواجهة هذا المد، ومن بنودها الأساسية ترويج الرياضة ودعمها بشكل واسع للغاية. واجتمعت العناصر الإعلامية والسياسية والتربوية لتظهر الرياضة وألعابها كقيمة راقية جداً لتحقيق الكمال الإنساني!

ونحن عندما ندرس السنوات العشر الأواخر، نخلص إلى نتيجة عامة من خلال المشاهدة، وهي أن الحملة لترويج الرياضة في المجتمع اللبناني فاقت الحجم الذي تمثله، حيث دخلت في سوق التيارات والطوائف التي تريد أن توجد لجمهورها هوية وشخصية إلى جانب المقاومة الطلبة أو في مقابلها.

وأمام هذه المعطيات، تنقسم البرامج المتعلقة ببناء الثقافة الوعي الديني وتهذيب النفس والمحافظة على الصفاء المعنوي إلى ما هو فردي وما يمكن أن يتوجه إلى الجماعة. ونحن سنشير إلى الخطوط العامة تاركين المجال للأخوة الجامعيين للدخول في التفاصيل والجزئيات:

. مواجهة الإغراءات الشهوانية وإثارة الغرائز من القضايا التي ينبغي أن تكون في صلب البرامج الذاتية والعامة. ويتم ذلك من خلال دراسة هادئة وصريحة للعواقب التي يحملها الاختلاط، والحقيقة التي تختفي وراء هذا السفور أو الإباحية، والعوامل التي تساهم في نشوئه واستمراره.

. طرح المبادئ الفكرية والمنطلقات العقائدية للمقاومة الإسلامية، وبيان علاقتها بالتضحية والثبات ومواجهة أعداء الأمة وأشدّهم عليها.

. ترويج الثقافة المعنوية للمقاومة الإسلامية التي تشكل صدمة كبيرة للسكون والخمود والسذاجة المنتشرة بفعل الأغاني والطرب. أي مواجهة تسطيح العقول بإيقاظ القلوب.

. طرح القضايا المعاصرة ومعالجتها وفق الرؤية الإسلامية كالحرية والمرأة والمشاركة في السلطة والحكومة والعولمة والعلاقة بين العلم والدين، ودعوة الجميع للمشاركة بطرح أفكارهم وتحمل الآراء المخالفة والعمل بنفس طويل على امتداد السنوات الجامعية.

مصادر النصوص

1 . 1363/2/1 هـ.ش

2 . 1368/3/6 هـ.ش

3 . 1366/8/17 هـ.ش

4 . 1366/8/17 هـ.ش

5 . 1363/2/1 هـ.ش

6 . 1369/7/8 هـ.ش

7 . 1375/2/31 هـ.ش

8 . 1374/7/8 هـ.ش

9 . 1374/8/17 هـ.ش

ج . الوعي السياسي

على الجامعي أن يمتلك الوعي السياسي والفهم والإدراك السياسي. يجب عليه أن يطلع على الأبحاث السياسية ومجريات الأحداث في العالم.(1)

من خلال تجربتي أقول لكم نصيحة أخوية وأبوية، وهي أن الجامعة يجب أن تكون مركز السياسة. وأنا مع الرأي القائل بضرورة أن يفهم الطالب الجامعي الأوضاع السياسية للبدل ويحللها ويمتلك رأياً بشأنها. (2)

إنني أصرّ على أن يكون محيط الجامعة ساحةً للوعي واليقظة وتحصيل الذهنية السياسية والعمل السياسي، حتى يطلع على الأحداث الجارية في العالم. (3)

كلما أبدى الجامعيون قلقهم تجاه بعض القضايا، فإنني أشعر بالسرور. ذلك اليوم الذي سنشعر فيه بالقلق عندما لا نرى فيكم أيها الشباب مثل هذا القلق، وتفتقدون مثل هذا الهم والاهتمام بما يجري في المجتمع. (4)

إلى أي مدى يمكننا أن نعتمد أو نثق بذلك المتخصص الذي لا يدرك قضايا مجتمعة سياسية؟

فإذا كان هذا الجامعي محصلاً، ومتخصصاً، وربما فرداً صالحاً، ولكنه لا يدرك القضايا السياسية في المجتمع، ولا يفهم مسيرته أو حاجاته، فهل تعلمون أية اشتباهات وأخطاء كبرى يمكن أن يقع فيها؟ وأنه قد يصبح أداة بيد العدو؟! (5)

لست مخالفاً أبداً، بل أشجع، وأطالب بالسعي لكي يمتلك كل طالب جامعي قدرة التحليل السياسي.

وكيف يمكن ذلك؟

يمكن أن يتحقق من خلال قيام مجموعة متميزة من الطلاب بإقامة الندوات واللقاءات، مع مطالعة وترجمة النصوص المتعلقة، والبحث في النشريات والكتب، وطرح الأبحاث السياسية القوية وإجراء المناظرات مما يؤدي إلى حث الطالب الجامعي على التفكير والمطالعة.. (6)

إذا كنتم تمتلكون قدرة التحليل السياسي، فإنكم إذا نظرتُم إلى قضايا مجتمعكم، ستفهمونها، وتعرفون على الأحداث والتوجهات والغايات والشخصيات، وتستشرفون المستقبل وتدركون تكليفكم. مثلما إذا نظرتُم إلى القضايا العالمية والوقائع والتحركات.. (7)

إن قولي بأن تكون الجامعات سياسية معناه أن تعملوا على أن لا يبقى فيها عوام، وأن نوجد قدرة التحليل السياسي عند جميع طلاب الجامعة. (8)

يوجد في الجامعات اليوم أفراد لا يهتمون بما يجري في البلد وفي العالم. وهذا أمر سيء للغاية. (9)

أيها الأخوة والأخوات! أيها الأعزاء! اسعوا لتكونوا في السياسة والعمل السياسي. وليكن هذا متلازماً مع الصفاء والتدين ورعاية التقوى والتمسك بها أكثر. (10)

البعض يعرف العمل السياسي في الجامعة بطريقة معكوسة. فيظن أن العمل السياسي هو المشاركة في الانتخابات وأمثالها بدون أي تحليل أو رؤية للقضايا السياسية.

أن العمل السياسي ليس كذلك. إن أوجب الأعمال السياسية في الجامعة هو أن يمتلك الشاب الجامعي قدرة التحليل. (11)

كما ذكرنا دائماً، وكذلك كان الإمام يذكر، يجب أن تكونوا سباقين في المسائل السياسية. إنني كنت دائماً أقول لكم أيها الأخوة والأخوات من طلاب الجامعات، إنكم معنيون بالماضي والحاضر والمستقبل. (12)

إن النشاط السياسي في الجامعة بالنسبة للجامعي يعني . أولاً . إن يمتلك قدرة التحليل السياسي في نفس الجامعة، ويصل إلى الوعي والنضج المطلوب منه. يجب أن يكون محيط الجامعة عندنا بحيث يستطيع كل فرد أن يجيب عن التساؤلات المطروحة.. فهذا هو النضج السياسي، وهو أساس قوام الفكر السياسي في المجتمع. (13)

ليس النشاط السياسي أن ننتظر موعد الانتخابات ونطرح لوائحنا. (14)

قلت ذات يوم لمجموعة من الجامعيين: لا تتصوروا أن الجامعي إذا أراد أن يكون له حضور ثوري فعليه أن يصرخ بوجه مسؤولية. (15)

أن التدخل في السياسة . والذي هو وصيتنا الدائمة . هو غير الألاعيب السياسية. (16)

من الآفات الأخرى الموجودة في جامعاتنا غلبة السياسة على الدين. (17)

إضاءات من الفصل: الوعي السياسي، والعمل السياسي

في حديثنا عن الوعي السياسي، قد نحتاج إلى بلورة بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بالسياسة، كون هذه القضية تعرضت . وما زالت . للتأويلات والإيهامات المختلفة. ورغم إن هذا المصطلح كثير الرواج في مجتمعنا، إلا أنه منشأ لكثير من الالتباس أيضاً.

وانطلاقاً من كلمات سماحة الإمام القائد (دام ظله)، التي يؤكد فيها على ضرورة امتلاك الوعي السياسي في الجامعة، نستطيع أن نحدد مجموعة من النقاط الأساسية في هذا المجال:

1. الوعي السياسي هو معرفة العناصر والقوى المحركة للمجتمع، والتيارات الفاعلة ومدى تأثيرها وفعاليتها، وكيفية عملها ونفوذها وأساليبها وخططها وأهدافها.

2. لتحصيل الوعي السياسي ينبغي إقامة الندوات واللقاءات والدراسات التي تعتمد على الكتب (المحلية والأجنبية) والنشريات والأبحاث المختلفة. أي عدم الاكتفاء بالخطب المهرجانات وعدم الانخداع بالشعارات والتصريحات.

3. الثمرة الطيبة لهذا السعي أن يمتلك كل طالب جامعي قدرة التحليل السياسي، بحيث يتمكن معها من استشراف المستقبل فلا تنطلي عليه الخطط التي تنطلق من الأهداف المعروفة للقوى المختلفة.

4. عدم التقليل من شأن الوعي السياسي. فهو اليوم من أفضل القنوات لإدراك حقانية هذا الدين وأتباعه المخلصين. لأن الوعي السياسي يوصل صاحبه إلى معرفة لؤم وخبث المستكبرين وعدائهم له ولشعبه، وبواسطته تتبدل الصورة الجميلة الزائفة لوجه الاستكبار إلى الصورة الحقيقية البشعة. وغالباً ما نستطيع أن نهدي العقول إلى القضايا الدينية المحقة من خلال طرح المسائل السياسية العميقة.

فالوعي السياسي يستطيع أن يفسّر بوضوح ما تخفيه الدعايات التجارية والدعوات الثقافية والنشاطات الفنية، بينما لا يرى الإنسان العادي فيها سوى الحرية والإبداع واليسر، فإذا بها مؤامرات كبرى ومخططات خبيثة.

5. ينبغي أن ينطلق البحث السياسي من الرابطة الوثيقة بالدين أو الرؤية الكونية له (العقيدة). لأن البحث في القضايا المصيرية للمجتمع بدون امتلاك رؤية عقائدية ثابتة وعميقة يتحول إلى ترف فكري وساحة لإبراز المواهب والآراء.

وقد شاعت في السابق فكرة الفصل بين الدين والسياسة باعتبار إن الدين مجموع المسائل المختصة بعلاقة الإنسان بربه. وجعلت السياسة بيد العلمانيين. ومع بدايات الصحوة الإسلامية بدأت العلاقة بين الدين والسياسة تتشكل في عقول المسلمين، إلا أنها بقيت غير واضحة المعالم والأبعاد. حتى جاء الإمام الخميني "قدس سره" وأعلن أن الدين كله سياسة، وأن سياستنا عين عبادتنا وعبادتنا عين سياستنا.

مما يعني إن السياسة التي ترتبط بإدارة المجتمع وقيادته ليست جزءاً من تعاليم الإسلام فحسب، بل هي روح هذا الدين بأسره. وعلينا أن ننظر إلى الدين من هذه الزاوية أيضاً.

6. العمل السياسي الذي أحياناً ولید الوعي السياسي له أشكالاً مختلفة. والدخول في الانتخابات الجامعية (مجالس الفروع وأمثالها) هو أحد هذه المشاركات. لكن لا ينبغي أن نعتبره ذروة الأعمال السياسية. وقد تتم التضحية بالمصالح الانتخابية في العمل السياسي لأجل تحقيق إنجازات سياسية كبرى. وعلين ينبغي أن نعرف ما هي الأولويات في العمل السياسي حتى لا نخسر الكبير والأهم لحساب الصغير والمهم.

وإن من أهم الأعمال والأنشطة السياسية في الجامعة هو بث الوعي السياسي وصناعة المناخ الملائم للتحليل المنطقي الهادئ وتناول القضايا السياسية بعيداً عن الأجواء المتشنجة. فالهدف يمتد إلى ما هو أبعد من الجامعة. إننا نريد أن يتخرج الجامعي، وهو يمتلك حساسية ومبالاة بالأوضاع المحيطة. كما نههدف إلى أن يكون قد أخذ انطباعاً إيجابياً عن الإسلام والعاملين الإسلاميين، لكي لا يتحول بعد تخرجه إلى عامل في خدمة الأجهزة المعادية. ومن جملة ما نستفيد في هذا المجال خطورة أن نجعل المقاومة التي هي فوق الجميع تياراً في مقابل التيارات الأخرى. ولا شك إننا لا نستطيع أن نتبنى هذا الرأي بالمطلق، إلا أنه جديد بالبحث والتأمل.

7. من الآفات الكبرى التي أشار إليها قائدنا الإمام غلبة السياسة على الدين. حيث نجد العمل السياسي أو النشاط السياسي خالياً من طرح القيم الدينية والمسائل الفكرية الرصينة. ويتوهم البعض إن لا علاقة بين العمل السياسي والمبادئ الأخلاقية، أو يصعب عليهم معرفة هذه العلاقة. لهذا، ينبغي دراسة هذه العلاقة بعمق وفهمها فهماً صحيحاً. لأن هذا الفصل جرّ الولايات الكبرى على أمتنا ومجتمعنا.

8. السبق في الوعي السياسي والعمل السياسي ينبغي أن يكون من مميزات شخصية الجامعي. لأن الجامعة هي التي تصنع المستقبل. فإذا بقيت في موقع المتأثر لن تكون سوى جسراً وامتداداً للماضي. وصناعة المستقبل تعني فهم الماضي جيداً والسعي في الحاضر. ومثل هذا الأمر يحتاج على أن يكون الجامعيون سباقين دوماً ولا ينتظرون الأحداث لترسم مستقبلهم ومستقبل شعبهم.

مصادر النصوص

1. 1373/3/18 هـ.ش

2. 1364/5/14 هـ.ش

3. 1374/9/18 هـ.ش

4. 1375/2/31 هـ.ش

5. 1365/10/16 هـ.ش

6. 1367/7/13 هـ.ش

7. 1366/4/25 هـ.ش

8. 1375/9/15 هـ.ش

9 . 1364/12/14 هـ.ش

10 . 1363/2/1 هـ.ش

11 . 1366/4/25 هـ.ش

12 . 1363/9/27 هـ.ش

13 . 1368/3/6 هـ.ش

14 . 1368/3/6 هـ.ش

15 . 1368/3/6 هـ.ش

16 . 1364/5/14 هـ.ش

17 . 1367/7/13 هـ.ش

.. النظرة الثانية إلى الجامعة هي أنها مركز تقدّم المجتمع. وهذا هو شأنها في كل بلدان العالم.
والجامعة هي أحد المراكز التي تعكس الحركة الفكرية الموجودة في المجتمع. (1)

في ذلك اليوم كنت أقول أن على الجامعي أن لا ينتظر صدور الشعارات للتحرك. فهو، بمقتضى
دراسته وموقعه كواحد من أفراد فئة فعّالة ومتحركة بطبيعتها، يتحمل مسؤولية أكبر.

فبالإضافة إلى التكاليف الملقاة على عاتق الأفراد العاديين، تتحمل الفئات المثقفة والمفكرة والمتعلمة والمدققة والتي تمتلك مقومات التحرك الاستثنائي مسؤولية أخرى. وهي مسؤولية الهداية.. فأنتم مسؤولون عن الهداية في الحركة السياسية والثورية. كما يتحمل ذلك العلماء. لماذا؟

لأنكم تمتلكون مقومات أكثر، وسوف تُسألون عنها يوم القيامة. فالجامعي الذي يدرس ويفكر، يمكنه أن يفهم ويحكم ويهدي ويوجه، ويستشرف المستقبل، ويحذّر عامة الناس من الوقوع في الشبهات والأخطاء.(2)

على الجامعيين أن يكونوا . كنظرائهم في أيد بلد آخر . من رواد الثورة وقواعدها الأساسية. ولا ينبغي أن تبرد أحاسيسهم تجاه القضايا الثورية أبداً.(3)

ليس الإنسان بصالحٍ إذا كان عالماً ولكنه لا يخدم بعلمه.. فالإنسان الصالح هو الذي يجمع بالإضافة إلى علمه نية الخدمة والعمل. (4)

إن العالم الذي لا يمتلك روحية مستتيرة، يمكن أن ينقلب بسهولة من خدمة الناس إلى خدمة الباطل.. كثيرون كانوا علماء، ولكنهم لم يعرفوا أن يضعون علمهم وشهرتهم التي وصلوا إليها. (5)

إن أفضل ما قدمه الجامعيون في أوج مرحلة الجهاد والثورة هو أنهم انسجموا مع الشعب ووقفوا إلى جانبه. (6)

يجب على الجامعي أن يشعر دائماً أنه رأس حربة التحرك الشعبي في الجهاد. (7)

يقع على عاتق جيل شباب الجامعة مسؤوليتان تجاه الثورة. الأولى : التقدم والسبق وشق الطريق. والأخرى: رفع الحاجة العلمية للمجتمع وإيصاله إلى الاكتفاء الذاتي. (8)

إن حركة تعميق الفكر الثوري في المجتمع أمر ضروري. ومن يقوم بهذا الدور؟

إن الجامعي ينبغي أن يكون في الصف الأول. (9)

هناك فاجعة يمكن أن تحدث. وأحد عناصرها هو انفصال الطبقة الجامعية الشابة عن جماهير الشعب. (10)

إضاءات من الفصل: الجامعيون والمجتمع

لم تنسحب القوى العسكرية للاستعمار من بلادنا إلى بعد أن ضمن وجود من يمثلها ويؤمن مصالحها. وهذه المرة كانت المسؤولية على عاتق النخبة السياسية المحلية التي تم إعدادها في الجامعات لتمكن من تطبيق النظم الغربية في الحكم والإدارة والسياسة والتربية والتعليم والاقتصاد. وبعدها فلترفع ما تشاء من شعارات الحرية والاستقلال والعداء للإمبريالية، فإن عقليتها النخبوية وثقافتها الغربية، لن توصلها إلا التبعية التامة للغرب.

لقد وجدت هذه النخب الثقافية الجامعية نفسها أقرب إلى الغرب منها إلى شعبها. ولهذا أوضحت في أيام النكسة تلقي باللائمة على شعوبها المتخلفة. وبعد الهزيمة بدأت تدعو إلى قبول الغرب على أنه حقيقة ثابتة، وتروج لثقافته الحضارية ونظمه المتطورة.

يشير صاموئيل هانتغتون في كتابه الشهير "صدام الحضارات" إلى هذه المسألة حيث يقول: "إن النخب الموجودة في المجتمعات غير الغربية غالباً ما تكون أقدر على التواصل مع الغربيين ومع أنفسها أفضل من شعوب مجتمعاتها" [1].

إن تجربة اليابان أوضحت ماثلة أمام أعيننا وعبرة كبيرة لكل من يريد تطبيق النظام الاقتصادي الرأسمالي في بلده. فلقد كسبت اليابان في المدى القصير، وحقت نمواً اقتصادياً هائلاً، إلا أن تراجعها الكبير في الأيام المقبلة، ووقوعها في أزمة اقتصادية لا حل لها، يعود إلى أنها كانت في سعيها الحثيث لتحقيق الازدهار تساهم في زياد الارتباط والتبعية منها للغرب، وعلى رأسه أمريكا. حتى باتت جزءاً من الإمبراطورية الأمريكية. وعندما أصيب الاقتصاد الأمريكي بالعجز، واصطدم بالمشكلات الكبرى، كان عليه أن يتخلص من أحد المنظومات التابعة، التي كانت في السابق حاجة له في مواجهة المعسكر الشرقي [2]. وإذا بهذا النمر الآسيوي يبدو هشاً، ويسارع إلى الانحلال والتضعف. وكذلك كانت تجربة الدول الآسيوية المجاورة.

على الشباب الجامعي أن يدرس بعمق معنى التبعية العلمية والثقافية التي يمكن أن تحقق ازدهاراً مصطنعاً سريعاً، إلا أنها تؤدي في النهاية وعند المواجهة إلى دمار المجتمع وسقوطه.

لقد بُنيت الجامعات في بلادنا لتحقيق هذه التبعية العلمية، التي تكون بدورها عاملاً أساسياً عميق التأثير وبعيد المدى لكل أشكال التبعية الاقتصادية والسياسية والأمنية.

إن الاستكبار لا يخشى من قيام اقتصاد قوي في أي بلد من العالم طالما أنه يعتمد ما يسمى بالنظام الحرب واقتصاد السوق (الذي يمثل واجهة النظام الاقتصادي الرأسمالي). كما أنه لا يخشى قيام نظام سياسي مستقل في أية بقعة من العالم طالما أنه يقوم على أساس النظام العلماني (وهو الوجه الواقعي

للنظام السياسي الغربي). إن ما يخشاه الاستكبار هو أن يُطرح في العالم نظام جديد لإدارة البلاد، قائم على الاستقلالية الثقافية. ولنسمع إمامنا الخميني "قدس سره" في بيانه العظيم الذي أصدره في الخامس عشر من رجب لعام 1409هـ. حيث يقول:

"والحكومة هي الفلسفة العملية لكل الفقه في جميع أبعاد حياة الإنسان، والحكومة تمثل الجانب العملي للفقه في تعامله مع جميع المشكلات الاجتماعية والسياسية والأمنية والثقافية. والفقه هو النظرية الحقيقية والكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع ونتمكن من الحصول على أجوبة للمشاكل. وهذا ما يخشاه الاستكبار، أي أن يكون للفقه والاجتهاد بعد عيني (واقعي) وعملي يمنح المسلمين قوة المواجهة".

لقد أدرك بعض المفكرين هذه المشكلة، واكتشفوا أن الخطأ القاتل الذي ارتكبه الحكومات كان بتخليها عن ثقافتها القومية، وظنها بأن اعتماد التكنولوجيا يستلزم إنشاء المطاعم ذات الوجبات السريعة وربطة العنق وكل مظاهر الحياة الغربية. وقالوا بأنه لا علاقة بين التقدم التقني والتبعية الثقافية. لهذا بحسب رأي هؤلاء، إذا أردنا الصمود في عالم التنافس والإلغاء ينبغي التمسك بالثقافة القومية. وتشير تجربة سنغافورة وصمودها في العاصفة الآسيوية إلى صحة هذا التحليل.

وقد أصاب هؤلاء من جهة، ولم يصلوا إلى الحقيقة الكاملة من جهة أخرى. فصحيح أن الحفاظ على الثقافة القومية للشعب يحفظ الشعب من التبعية، وهو أحد شروط الاستقلال، إلا أن العولمة المندفعة بقوة ستؤدي إلى صراع ثقافي كبير تدفع على تصدع وهزيمة الثقافات القومية الضعيفة. ولن يكفي وجود استقلالية للثقافة المحلية وتدوينها (كون التدوين أحد أهم أركان الحفاظ على الثقافة)، بل ينبغي أن تمتلك الثقافة قدرة المواجهة الفكرية. فهذه كوريا الجنوبية، عندما أرادت أن تبنى اقتصاد السوق، كان عليها أن تقبل الانفتاح الفكري. وقد أدى ذلك إلى التسامح مع البعثات التبشيرية المسيحية. وتشير الإحصاءات الدقيقة إلى أن نسبة المسيحيين في كوريا الجنوبية كان العام 1950م يمثل من 1 إلى 3 بالمئة من عدد السكان، ومع إطلالة الثمانينات أصبح المسيحيون يشكلون ما نسبته 30 بالمئة من عدد السكان على أقل تقدير.

فالديانة التي تقوم على عبادة الأجداد لا يمكن أن تواجه ديانة عالمية سماوية ذات نظرة كلية. وهذا بمعزل عن صحة ما في المسيحية. ولشد ما أعجبنى هانتنغتون في كتابه وهو يحلل هذه الظاهرة حيث يقول:

".. إن عيسى المسيح قد لا يؤمن تلك الاحتياجات (البحث عن الهوية، والقيم..) ولكن يبدو أنه يحوز على فرصة أفضل. وفي المدى البعيد، على كل حال، سيفوز محمد"[3].

وهو يشير بالاسمين إلى الديانتين (المسيحية والإسلام). ذلك لأن الإسلام . بحسب ما نراه واضحاً . يمتلك كل عناصر المواجهة والثبات في الصراع الفكري المتفاقم. وهو الدين الوحيد القادر على تقديم الأجوبة المنطقية بروح واحدة منسجمة ضمن منظومة شاملة.

وبهذه الملاحظات الوجيزة والعاجلة نكون قد أشرنا إلى أهم عنصر لتغيير المجتمع وإصلاحه.

مصادر النصوص

1 . 1365/7/7 هـ.ش

2 . 1364/3/15 هـ.ش

3 . 1370/9/20 هـ.ش

4 . 1365/7/7 هـ.ش

5 . 1374/7/25 هـ.ش

6 . 1363/2/1 هـ.ش

7 . 1366/8/17 هـ.ش

8 . 1360/8/10 هـ.ش

9 . 1368/3/6 هـ.ش

10 . 1361/9/4 هـ.ش

[1] Samuel Huntington, The Clash of Civilizations, P. 63

[2] (فليلاحظ القارئ المحترم كيف حقوق الاقتصاد الأمريكي نمواً مفاجئاً في أواخر السنة الماضية، ما تزامن مع سقوط وانهيار اقتصادات الدول الآسيوية التي اعتمدت النظام الرأسمالي.

[3] (ن.م. ص 65.